مؤسسة ملتقى الخطباء
INSTITUTION FORUM OF SPEAKERS
بيئة تفاعلية عالمية لخطب مؤثرة
ملتقى الخطباء
WWW.KHUTABAA.COM



عنوان الخطبة	الشعور بالعزة
عناصر الخطبة	1/ الإسلام دين العزة 2/ منهج النبي الكريم في تربية الصحابة على عزة النفس واستجابتهم المذهلة لتلك التربية 3/ كن عزيزاً 4/ مظاهر لذلة بعض المسلمين 5/ توفر مقومات العزة في الإسلام والذلة في غيره
الشيخ	الشيخ/ محمد بن عبد الرحمن العريفي
عدد الصفحات	15
رقم الخطبة في الموقع	2886

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جَلَّ عن الشبيه والمثيل والنظير.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه، أرسله ربه رحمة للعالمين، وحجة على العباد

أجمعين، فهـدى اللــه تعـالى بــه من الضــلالة، وبصَّر به من الجهالة، وكَثَّر به بعد القلة، وأغنى به بعد العَيلة، ولمّ به بعد الشتات، وأمن به بعد الخوف، فصلوات الله وسلامه عليـه وعلى آلـه الطيبين، وأصحابه الغُـرّ الميـامين، مـا اتصـلت عينٌ بنظــر، ووعت أذن بخــبر، وســلَّم تســليما كثيرا.
أما بعد: أيهـا الإخــوة الكــرام: إن من الصــفات التي جبل الله تعالى عليها أنبياءه ورسله، وأمر الله المؤمنين بأن يتحلو بها، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يزرعهـا في أصـحابه ويـربيهم عليها، ويأبى أن يتمثلوا أو يتصفوا بضدها، تلــك الصفة التي مدح الله تعـالى بهـا نفســه، وأمــر المؤمنين أن يتصـفوا بهـا، فقـال اللــه جـل في علاه: (وَلِلَّهِ الْعِـزَّةُ وَلِرَسُـولِهِ وَلِلْمُـؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [المنافقون:8].
ولما ذكر الله تعالى في كتابه الكريم قصة نبي الله تعالى موسـى -عليـه السـلام-، وكيـف أنـه لما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم: (فَــأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى) [طه:67]، قـال اللــه: (قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى) [طه:68].
أنت الأعلى بإيمانــك، أنت الأعلى بيقينــك، أنت الأعلى بعبوديتك لله وحــده لا شــريك لــه، إنــك تــأوي إلى ركن شــديد ينصــرك عنــد انتصــارك،

ويغيثـك عنـد إغاثتـك، ويشـفيك عنـد مرضـك، ويغنيك عند فقرك، ويقويك عند ضـعفك: (قُلْنَـا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى)!.

وكان النبي -صلى الله عليـه وسـلم- يـزرع في أصحابه هـذه الصـفة، يحـاول أن يكونـوا دائمـاً أعزة فلا يذلوا أنفسهم لأحد من البشر أبدا.

كان حكيم بن حزام -رضي الله تعالى عنه- قـد خـرج إلى السـوق يومـا كمـا ذكـر الحـاكم في مستدركه، فأراد أن يشتري حلة لرسول اللـه -صـلى اللـه عليـه وسـلم-، فـرأى حلـة حسـنة جميلــة وإذا هي حلــة لملــك اليمن ذي يــزن، فاشتراها بغالي المال، وأقبـل بهـا إلى رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- فأهداها إليه.

قال: يا رسول الله، هـذه اشـتريتها بكـذا وكـذا هدية إليك، هي حلة ملك اليمن، فأخـذها النـبي -صـلى اللـه عليـه وسـلم- وأعجبتـه فلبسـها، وخطب بهـا على المنـبر، فلم يُـر وجـه أحسـن من وجه رسول الله -صلى الله عليـه وسـلم- وهو يخطب الناس ويحدثهم، وكانت حلة جميلة حسنة.

فلما نزل النبي -صـلى اللـه عليـه وسـلم- من المنــبر طواهــا ثم أهــداها إلى حِبِّه وابن حبـه أسـامة بن زيـد -رضـي اللـه تعـالى عنهمـا-،

فلبسها أسامة، وكان مولى، وكان أبوه مــولى، لكنهما أعتقا، وكان جميل الخلقة صغيراً.

فلما خرج بها إلى السوق وهو يلبس حلة ملــك اليمين، رآه حكيم بن حزام وقال لــه: ســبحان الله! أسامة بن زيد يلبس حلــة ملــك اليمن ذي يزن! فــالتفت إليــه أســامة -رضــي اللــه تعــالى عنه- وهو الصغير في ســنه، الكبــير في عزتــه، فقال له أسامة: وإن كــان كــذلك، فواللــه! لَأَنــا خيرٌ من ذي يزن! ولَأَبي خير من أبي ذي يــزن! ولَأُمِّي خيرٌ مِن أم ذي يــزن! وصــدق في ذلــك، فذي يزن ملك ضالٌّ كافر، وهذا مــؤمن موحــد، وأمه وأبوه كذلك.

هذه العــزة الــتي لا تعتمــد ولا تتكئ على مــال، ولا تتكئ على نسب ولا حسب ولا منصــب هي التي كان النبي -صلى الله عليــه وســلم- يــربي عليها أصحابه.

أقبل حكيم بن حزام -رضــي اللــه تعــالى عنــه- يوما إلى رسول الله -صلى اللــه عليــه وســلم- فسأله من المال مع أصحاب له فأعطــاهم، ثم مضى، ثم أقبــل إليــه بعــد زمن فســأل النــبي -صلى الله عليه وسلم- مالا فأعطــاه ثم مضــى، ثم فأقبل عليــه بعــد زمن فســأل النــبي -صــلى الله عليه وسلم- مالا فأعطاه.

ثم قال له -صلى الله عليـه وسـلم- منبِّهـا على أهمية العزة، قال له -صلى الله عليـه وسـلم-: "يــا حكيم بن حــزام، إن هــذا المــال حلــوة خضره"، خاصة إذا أتاك من غير تعب ولا زهـد، قال: "إن هذا المال حلـوة خضـره، فمن أخـذه بسخاوة نفس [أخذه ونفسه عزيزة] بـورك لـه فيـه، ومن أخـذه بإشـراف نفس[أخـذه بذلـة وانكسار، قال ومن أخذه بإشراف نفس وربمـا بتنازل عن شيء من دينه أو عقيدته أو كرامته] لم يبارك له فيه".

وفي الحديث الآخَر أن النبي -صـلى اللـه عليـه وسـلم- جلس مـع قـوم من أصـحابه يبـايعهم، قــوم مسـلمون جـدد، فـأراد أن يبـايعهم على الإسلام، فبايعهم -صلى الله عليه وســلم- على السمع والطاعة في المنشـط والمكـره، يقـول الصحابي: وألا ننازع الأمر أهله، وأن نعبـد اللـه وحده لا شريك له. قال الصحابي ثم أسَرَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- كلمة خفية.

يعني بـايعهم على السـمع والطاعـة لـه -صـلى الله عليـه وسـلم- وقبـل ذلـك لربنـا جـل وعلا، فرفع بها صـوته كـالملزم لهم بهـا، وبـايعهم ألا ينازعوا الأمر أهله، وعلى عبادة الله وحــده، ثم لما كانت الوصية الأخيرة أســر بهـا وخفض بهـا صوته خشية من أن لا يلتزموا بها.

قيل للصحابي: فماذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ ما تلك الكلمة التي أسَرَّ بها وخفض بها صوته؟ قال: قد لنا "وتبايعوني على أن لا تسألوا الناس شيئاً". لا تذل نفسك للآخَرين، بل اجعل نفسك عزيزة لله وحده لا شريك له، قال وتبايعوني على ألا تسألوا الناس شيئاً.

يقول هذا الصحابي: فوالله لقد رأيت أولئك النفر مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، إن الرجل ليأتيهم بالعطاء من بيت المال، يعني في عهد أبي بكر وعمر لما كثرت الفتوحات وصار بيت المال يوزع أعطيات على الناس، قال والله إنهم لا يقبلونه! ويقولون: بايعنا النبي -صلى الله عليه وسلم- ألا نسأل الناس شيئا.

قال: ولقد رأيت بعضهم يكون على دابته على بعيره فيسقط سوطه الذي في يده والناس يمرون بجانبه، فوالله ما يقول لأحد منهم ارفع إلي سوطي! بل إنه ينيخ بعيره مع مشقة ذلك عليه ويأخذ سوطه، ثم يركب بعيره مرة أخرى ويبعث البعير ماشيا، كل هذا التعب وهو يستطيع أن يقول لأحد: ارفع إلي سوطي! مع كل تلك المشقة لا يفعلون ذلك.

هــذه التربيــة على العــزة هي الــتي يريــدها الإسلام منا، ألا تذل نفسـك لأجـل دنيـا، لا تـذل نفسك لأجل مال، ألا تذل نفسك لأجل منصب، ألا تتمسـح ببعض أصـحاب المناصـب أو الجـاه لأجــل أن تجــد من ورائهم دنيــا فتســكت عن منكـر، أو ربمـا تشـارك في منكـر، أو لا تـأمر بمعــروف، أو تتغاضـى عن إهانــة توجــه إليـك لأجـل مـال تحصـل عليـه، أو لأجـل منصـب، أو لأجل تذكرة طائرة، أو سكن في فندق يحاسب عنك، أو لأجل دعوتك إلى عشـاء، أو مـا شـابه ذلك من الأمور.

كن عزيـزاً، وهـذا الـذي يريـده اللـه تعـالى من المؤمـنين جميعـاً، واللــه -جــل وعلا- قــد أعــز الإنسـان عمومـاً على سـائر المخلوقـات، كمـا قـــال -جـــل وعلا-: (وَلَقَـــدْ كَرَّمْنَـــا بَنِي آدَمَ)، كرمنــاهم وجعلنــاهم نــاطقين خلاف البهــائم، كرمنــاهم فجعلنــاهم عقلاء خلاف الحيوانــات، كرمنـــاهم فجعلنـــاهم يتعبـــدون اللـــه تعـــالى ويتقربون إليه ويعمـرون الأرض خلاف غـيرهم، كرمنـــا بـــني أدم، فلمـــاذا تـــذل نفســـك بعـــد الكرامة؟ (وَلَقَـدْ كَرَّمْنَـا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَـاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَـاتِ وَفَضَّـلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) [الإسراء:70].

وقـال اللـه -جـل وعلا-: (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُـونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَـدِ الْأَمِينِ * لَقَـدْ خَلَقْنَـا الْإِنْسَـانَ فِي أَحْسَـنِ تَقْـوِيمٍ) [الـتين:1-4]، أحسن تقويم في خلقته، وفي عقلـه وتفكـيره، وفي نوعيـة طعامـه ونوعيـة شـرابه ونوعيـة لباسـه، أحسـن تقـويم، (ثُمَّ رَدَدْنَـاهُ أَسْـفَلَ سَافِلِينَ) [التين:5]، رُد أسفل سافلين إن عبد غير الله، إن وحَّد غير الله، إن توجه بعبادتـه أو أذل نفسه لغير الله.

أيها المسـلمون: إن التعـود على الذلـة، التعـود على الانكسار، التعود أن تكون يـدك هي دائمـاً السفلى ويد غـيرك هي العليـا، التعـود على أن تكـون محتاجـاً إلى فلان في واسـطة ومحتاجـاً إلى فلان في مـال، ومحتاجـاً إلى الثـالث في شفاعة، ومحتاجاً إلى الرابع في علاج، ومحتاجاً إلى الخامس في كذا...

تعـود الإنسـان على أن يكـون دائمـاً يتكئ على الآخرين، كالطفـل الـذي لا يحسـن المشـي إلا بمعاونة من يمينه وشماله، أو كالمريض الـذي لا يسـتطيع ان يسـير بنفسـه بـل يحتـاج إلى معاونة غيره، كلا! بل كن عزيزاً، وارفـع رأيـك، واعلم أنـك كمـا قـال اللـه تعـالى: (إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى).

والمؤمن -أيها الإخـوة الكـرام- عزيـزٌ بمنهجِـه، عزيز بإيمانه، عزيز بدينه الذي ليس فيه شرك، وليست فيه عبادةٌ لغير الله تعالى.
لما أقبل عمر رضي الله تعالى عنه إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبيده صحيفة كان -رضي الله تعالى عنه- قـد كتبهـا لـه رجـل من اليهود من التوراة، جلس مـع رجـل من اليهـود فـذلك اليهـودي قـرأ عليـه بعض الأحكـام من التوراة، والتوراة كما قال الله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَـا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْـلَمُوا لِلَّذِينَ هَـادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَـارُ بِمَـا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْـهِ شُـهَدَاءَ) [المائدة:44]. فالتوراة وإن كـانت محرفـة في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا أنها كـان لا يزال فيها شيء من الصواب الذي أنزله الله تعالى على موسى عليه صلوات الله وسلامه.
جلس عمر رضي الله عنه مع رجـل من اليهـود فأعجب عمر كلام من التوراة، فطلب عمر من ذلـك اليهـودي أن يكتبـه لـه، فكتبـه لـه في صحيفة، حِكم وتوجيهـات وكلام حسـن، فـذهب بها عمر مستبشراً إلى -صلى الله عليه وسلم- لتقرأ على النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلمـا جـاء بالصـحيفة نظـر النـبي -صـلى اللـه عليـه وسلم- إلى عمـر، وإذا عمـر قـد جـاء بصـحيفة

أنزلت على قوم آخرين وقد أبـدلنا اللـه تعـالى بـالقرآن الـذي هـو مصـدق لمـا بين يديـه من الكتاب ومهيمنـاً عليـه، جـامع كـل مـا فيـه من الحكم والأمثال والفوائد والعبر والعبادة.

وقـال -صـلى اللـه عليـه وسـلم- لمـا رآهـا مـع عمر، وقد تغـير وجهـه، قـال -صـلى اللـه عليـه وسلم- وقد بان عليه الغضب: " أَمُتَهَوِّكٌ فيها يا ابن الخطـــاب؟!" يعـــني عنـــدكم شـــك في شريعتي؟ عندكم شك في الدين الذي أرسـلت بـه؟ فتـذهبون تبحثـون عن كتـاب آخَـر لديانـة أخرى، قال: "أمتهـوِّكٌ فيهـا يـا ابن الخطـاب؟! والله! والذي نفسي بيده! لو كـان موسـى حيـا ما وسعه إلا أن يتبعني".

نحن الأعزة يا عمر، نحن الأعلون يا عمـر، أنت نبيك هو خاتم الأنبياء وسيدهم، وهـو سـيد ولـد آدم يوم القيامة، كيف تذهب يـا عمـر إلى نـبي آخر، وإن كـان نبيـاً مرسـلا صـالحا تقيـا، كيـف تذهب يا عمر وعندك القرآن؟!.

فبالله عليك ماذا يقول النبي -صـلى اللـه عليـه وسـلم- لـو رأى قومـا من منـافقي زماننـا يتمسـحون ببعض الـدول الفـاجرة الكـافرة، ويزورونهم مجالسين ومعجبين بما عنـدهم من مناهج، ويرى ذلة إذا سئل عن حجـاب المـرأة، ويـرى تلـك المـرأة هنـاك أكمـل وأعلى وأعـزّ،

يــرى ذلــة إذا سـئل عن أحكــام في الشــريعة كإقامــة حَــدِّ القتـل على القاتــل، وقطــع يــد الســـارق، وجلـــد الـــزاني، ورجم المحصـــن، وشارب الخمر، فإذا سئل عنهـا شـعر بذلـة، أو ربمـا سـافر إلى هنـاك ثم شـعر بذلـة إذا دخـل عليه وقت الصلاة وأراد أن يصلي، ويقـول لمن حوله: نصلي أمام الناس؟!.
سـبحان اللــه! الشــواذ هنــاك الــذين خــالفوا الغريزة التي فطر الله عليه الناس من اتباع ما كــان يفعلــه شــذاذ قــوم لــوط -عليــه الســلام- يفتخرون بما هم عليه من الشـذوذ، ويشـعرون بالعزة، ولا يرضـون أن يـذم أحـد مـا يفعلونـه! اليهود يفتخـرون بمـا هـو عنـدهم من ضـلالات، ويجرمون من أنكر المحرقة أو غير ذلـك! ومـع ذلك يأتي قـوم من أصـحابنا ثم يشـعر بذلـة إذا أراد أن يتكلم عن دينه، يتكلم عن صلاته! وتجد الأمــر كمــا قــال اللــه -جــل وعلا-، يقــول اللــه سبحانه وتعالى: (بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَـاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ) [النساء:138-139].
يكوِّن علاقة مع كافر بحثا عن العزة، لماذا تذل نفسـك لهم؟ لمـاذا تقـدم تنـازلات عن دينـك؟ لمـــاذا تُخفي بعض معـــالم دينـــك خشـــية من

انتقاده لك؟ والله! كـأن الآيـة تتكلم عن زمننـا الـذي نعيشـه الآن! (بَشِّـرِ الْمُنَـافِقِينَ بِـأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًـا)، فمَن ابتغى العـزة بغـير اللـه ذَلَّ، ومن أراد الارتفاع بغير منهج الله تعالى انحـطَّ، ومن تعلَّق بحبل غير حبل الله تعالى انقطع به، (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـاهُ بِهَـا وَلَكِنَّهُ أَخْلَـدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَـلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِـلْ عَلَيْـهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْـهُ يَلْهَثْ ذَلِـكَ مَثَـلُ الْقَـوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) [الأعراف:176].
(بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِـأَنَّ لَهُمْ عَـذَابًا أَلِيمًـا * الَّذِينَ يَتَّخِـذُونَ الْكَـافِرِينَ أَوْلِيَـاءَ مِنْ دُونِ الْمُـؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا)، ثم قال الله، (وَقَـدْ نَـزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَـابِ أَنْ إِذَا سَـمِعْتُمْ آيَـاتِ اللَّهِ يُكْفَـرُ بِهَـا وَيُسْـتَهْزَأُ بِهَـا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ)، لا تقعد مـع من يتنقص دينـك، لا تقعـد مـع من يتنقص شـريعتك، مـع من يـراك ذليلا: (حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَـدِيثٍ غَيْـرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَـامِعُ الْمُنَـافِقِينَ وَالْكَـافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا) [النساء:140].
العـزة هي شـعور ينبغي أن يكـون في قلوبنـا جميعـاً، عنـدما نتعامـل مـع صـلاتنا تشـعر أنهـا تزيدك عزة، ولله العزة ولرسـوله وللمؤمـنين،

عندما تتعبد لله تعالى وتـذل رقبتـك لـه تشـعر بعزة، عندما ترى كافراً يقول: الله ثـالث ثلاثـة، أو يقول: عزير ابن الله، أو يعبـد بـوذا، أو يعبـد بقرة، تشـعر بـالعزة؛ لأنـك تعبـد اللـه وحـده لا شريك له.

عنــدما تــرى من يتتبعــون قــوانين فرنســية وأمريكية وبريطانية وغير ذلـك، ويحكمـون بهـا بما يتعلق بـالجرائم وغيرهـا، وأنت تحكم بمنهج ربـاني لم يصـنعه بشـر، ولم يكتبـه بشـر، ولم تتقرب به إلى بشر، ولم يحدده لك بشر، وإنما سنه وقضاه وأمرك به ربك جـل جلالـه، تشـعر بعزة، بأنك أنت الأعلى في أحكامك الشــرعية، بأنك أنت الأعلى في عبادتك، بأنـك أنت الأعلى في حياتـك، هـذا الـذي ينبغي أن نـتربى عليـه، ونربي عليه غيرنا.

لمـا أقبـل جـابر -رضـي اللـه تعـالى عنـه- من الشام إلى رسول الله -صلى الله عليه وسـلم- فلما دخل على رسـول اللـه -صـلى اللـه عليـه وسلم- سجد بين يديه، فقـال لـه النـبي -صـلى اللــه عليــه وســلم-: "مــا هــذا يــا جــابر؟!"، استغرب! أنت عزيز لا تسـجد إلا للـه حـتى لـو رأيت نبياً أو ملكا، لا تسجد إلا لله؛ عزةً يا جابر وعبادة، "قم يا جابر"، فقام جابر، فقال -صـلى الله عليه وسـلم- مـا حملـك على ذلـك؟ يعـني

هذا أمر جديد، تسجد لي! ما هذا؟ ما حملك على هذا؟ قال له: يا رسول الله، رأيتهم في الشام يسجدون لعظمائهم ولملوكهم، وأنت يا رسول الله أعز عندنا وأعلى، فسجدت لك. فقال له -صلى الله عليه وسلم-: "لا". نهاه عن ذلك، وقال له -صلى الله عليه وسلم-: "لو كنتُ آمراً أحداً أن يسجد لأحَدٍ لأمَرْتُ المرأة أن تسجد لزوجها".

عزة يريد أن يربيك عليها الإسلام، انتبه، لا تذل نفسك ولا تتعود على هذا، كن عزيزاً، بنو اسرائيل لما ذلوا وقال لهم موسى -عليه السلام-: (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ) [المائدة:21]، كانوا أذلة ما عندهم اعتزاز، (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا) [المائدة:22]، وكانوا أذلة، فعاقبهم الله تعالى في أن تاهوا في الصحراء أربعين سنة، وتاهوا فيها يبيتون على الرمل والحجر، أراد الله تعالي يعزهم فطلبوا الذلة، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول لا ينبغي لأحدكم أن يذل نفسه.

الإمام الباقلاني أبو بكر -رحمه الله تعالى- أرسله الخليفة برسالة إلى ملك الروم، وكان ملك الروم مَن دخَل عليه أُلزِم أن يركع بين

يديه، أن يُقبِل إليه راكعاً؛ يـذل قومـه، وهم قـد رضـوا بالذلـة كـأقوام تعـودوا الـذل وخفض الرأس حتى صار رفع الرأس شاقا إذ لم يتعودا عليه! فلما قيل للإمام البـاقلاني: ادخـل عليـه، علم ذلـك الملـك أنـه لن يرضـى أن يركـع بين يديه إذا دخل، وخشي أن يُفسـد عليـه أصـحابه الـذين عنـده من وزرائـه وقساوسـته الـذين يركعون صباحاً ومساء.

فأمر الملك أن يُغلق الباب الرئيسي وأن يدخل الباقلاني من باب قصير صـغير، بـاب مخصـص لأشـياء معينـة أمـر أن يـدخل من خلالـه حـتى يضطر إلى الانحناء عند الدخول فيشفي ما في صدر هذا الملـك، ويقـول لأصـحابه هـا هـو قـد انحنى لي، فلما أقبل الإمام أبـو بكـر البـاقلاني إلى ذلك الباب القصير فهِم مراده، فلف ظهره ودخـل بـدبره، انحى ودخـل بـدبره جهـة ملـك الروم، ثم مشى خطوات ودبره في وجـه ذلـك الملك ثم اعتدل وقام قائماً بين يديه.

فعلم الملك أن أمثال هـؤلاء الـذين تربـوا على العـــزة أنهم يرضـــعونها من أثـــداء أمهـــاتهم، ويربون عليها في صِغَرهم، وأن كثرة سجودهم لربهم تزيـدهم عـزة وظهـوراً وعُلُـوَّاً، وأن اللـه تعالى يرفعُهم وينصرهم إذا علم منهم مثل هذا الاعتزاز الـذي يرتفعـون بـه على بقيـة البشـر،

نعم، (وَلِلَّهِ الْعِـزَّةُ وَلِرَسُـولِهِ وَلِلْمُـؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَـافِقِينَ لَا يَعْلَمُـونَ) [المنـافقون:8]، فلم يطلبـوا العـزة من مصـدرها من ربنـا، ولكن طلبوها من قوم آخرين يبتغون عندهم العزة.

أسأل اللـه تعـالى أن يعزنـا بدينـه، وأن يرفعنـا بشريعته، وأن يعلي قـدرنا في الـدنيا والآخـرة، اللهم أغننا عن الناس يا حي يـا قيـوم، واجعـل تعبدنا وتقربنا وذلتنا لـك وحـدك لا شـريك لـك، أقـول مـا تسـمعون وأسـتغفر اللـه العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه، إنه هـو الغفـور الرحيم.

الخطبة الثانية:
الحمـد للـه على إحسـانه، والشـكر لـه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له تعظيماً لشانه، وأشـهد أن محمـداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلَّى اللـه وسلَّم وبارَك عليه وعلى آلـه وإخوانـه وخلانـه، ومن سـار على نهجـه واقتفى أثـره واسـتن بسنته إلى يوم الدين.
أيها الإخوة الكرام: ومن أعظم صور العـزة أن لا يكون عنده تشكك في شعائر دينه أبداً، و أن تكون عنده قناعة تامة بنصرة الله تعـالى لهـذا الدين، كما كان النبي -صلى الله عليـه وسـلم- يمشى بطرقات مكة في أوائل الإسلام، فـيرى بلالاً يُعـذَّب، ويـرى سـمية وزوجهـا وابنهـا قـد رُبطوا على جذوع النخل ويُعذَّبون، ويـرى خبابـا -رضي الله تعالى عنه- يُصْلَى بالنار، ومـع ذلـك لم يشعر النـبي -صـلى اللـه عليـه وسـلم- في لحظـة من اللحظـات أنـه ذليـل بعـد عـز، أو منكسـر بعـد قـوام، أو أنـه يحتـاج لنصـرة من هؤلاء الكافرين، بل كان إن استنصر لا يستنصر إلا باللـه تعـالى، وإن اسـتغاث لا يسـتغيث إلا بالله، وإن اسـتجار لا يسـتجير إلا باللـه، متمثلا: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ).

نحن إذا فعلنا مثل ذلك، سواء كنـا نتعامـل مـع مسلمين، فنشعر بعـزة حـتى مـع التعامـل مـع النـاس فلا أذل نفسـي لهم، أو إذا تعاملنـا مـع غير المسلمين أشعر أيضا بعزة وقناعة بمـا أنـا عليـه، ليس كـبرا وغـرورا، لا، وإنمـا تواضـعاً وحسـنَ خلـق، مـع شـعور في الـداخل بـالعزة والاكتمال، ما دام أن العبد متعبد لرب المتَعـال -جل في علاه-.

أسأل الله -سـبحانه وتعـالى- أن ينفعنـا وإيـاكم بما سمعنا.